

إليك ترتيب المصادر التاريخية التي ذكرت فتح المغرب، مرتبة من الأقدم إلى الأحدث بناءً على تاريخ وفاة مؤلفيها (التسلسل الزمني لعصر المؤلف):

- كتاب «فتوح مصر وأخبارها» - لابن عبد الحكم (توفي 257هـ / 871 م): هو أقدم مصدر تاريخي متوفر بين أيدينا اليوم يتناول تفاصيل الفتح في هذه المنطقة، ويمتاز بقرب مؤلفه الزمني من الأحداث.
- كتاب «فتوح البلدان» - للبلاذري (توفي 279هـ / 892 م): من أمهات كتب الفتوحات الإسلامية الأولى، ويعد مرجعاً رئيسياً لفترة العصر الراشدي والأموي.
- كتاب «تاريخ الأمم والملوك» (تاريخ الطبري) - للإمام الطبري (توفي 310هـ / 923 م): يمثل قمة التدوين التاريخي بالرواية والأسانيد في القرن الرابع الهجري، ويوثق القرارات السياسية العليا للخلافة.
- كتاب «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» - لأبي عبيد البكري (توفي 487هـ / 1094 م): يدمج بين الجغرافيا والتاريخ، وهو أول مصدر أندلسي ومغربي محلي متقدم يصف جغرافية الفتح بدقة.
- كتاب «الكامل في التاريخ» - لابن الأثير (توفي 630هـ / 1233 م): موسوعة تاريخية شاملة تمتاز بتنسيق الأحداث وسد الثغرات التي أغفلتها المصادر الأقدم.
- كتاب «البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب» - لابن عذاري المراكشي (توفي في أواخر القرن السابع الهجري / حوالي 695 هـ): يمثل أهمية قصوى لأنه ينقل مباشرة عن كتب ومصادر مغربية قديمة جداً ضاعت أصولها ولم تصلنا.

مجلد تاريخ المغرب عبدالله العروي يُعد من أهم المراجع الفكرية الحديثة؛ حيث يقدم قراءة نقدية وتفسيرية ممتازة لتاريخ المغرب الإسلامي من منظور فكري معاصر خارج إطار السرد التقليدي.

المغرب عبر العصور عبدالهادي التازي

كتاب «الفتح الإسلامي لبلاد المغرب» - للباحث عبد العزيز غوردو: دراسة حديثة تركز على آليات الفتح الإسلامي في المنطقة، وطبيعة التفاعل بين الجيوش الفاتحة والقبائل المحلية

كتاب ابن عبد الحكم

- اسم الكتاب الكامل وسنة التأليف: يُعرف الكتاب باسم «فتوح مصر وأخبارها» (ويُطبع أحياناً باسم «فتوح مصر والمغرب»)، وألفه المؤرخ والفقيه المصري ابن عبد الحكم (توفي 257هـ / 871 م) في القرن الثالث الهجري [المصادر].
- القيمة التاريخية والصدارة: يُعد هذا الكتاب أقدم وأعرق مصدر تاريخي محلي وصل إلينا مدوناً بالكامل عن فتوحات شمال إفريقيا ومصر [المصادر]. وتكمن قيمته الفائقة في أن مؤلفه عاش في العصر العباسي الأول، وكان قريباً جداً من عصر الفتوحات؛ مما جعله ينقل الروايات الشفهية والوثائق العائلية المباشرة من أبناء وأحفاد الفاتحين أنفسهم.
- منهج التأليف والكتابة: اعتمد ابن عبد الحكم على منهج المحدثين في الرواية؛ حيث يسوق الأخبار التاريخية مستخدماً "الأسانيد" (حدثنا فلان عن فلان). ويمزج في أسلوبه بين سرد الأحداث التاريخية، والتوثيق الجغرافي للمدن الخطط، وتدوين الأحكام الفقهية المترتبة على الفتح (مثل أحكام الأراضي والجزية).
- مضمون وأجزاء الكتاب: ينقسم الكتاب إلى عدة أجزاء رئيسية ترسم مسار حركة الفتح الإسلامي غرباً:
 - فتح مصر: تفاصيل دخول عمرو بن العاص وتأسيس مدينة الفسطاط.
 - فتح إفريقية والمغرب: يغطي البدايات الأولى لفتح المغرب (مثل حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح ومعركة سببلة).
 - فتح الأندلس: يوثق عبور طارق بن زياد وموسى بن نصير.
 - تراجم وقضاء: يختم الكتاب بذكر قضاة مصر وأبرز الصحابة والتابعين الذين دخلوا المنطقة.
- أهميته لفتح المغرب تحديداً: لولا هذا الكتاب لضاعت تفاصيل كثيرة عن الخطوات الأولى لفتح المغرب؛ فهو الأساس الذي نقلت عنه كافة المصادر اللاحقة (مثل الطبري، وابن عذاري، وابن الأثير) [المصادر]، مما يجعله مرجعاً لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ المغرب الإسلامي.

□ الاسم والنشأة: هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين القرشي، مؤرخ وفقيه ومحدث مصري، وُلد في الفسطاط (القاهرة القديمة) عام 182هـ (798 م) وتوفي بها عام 257هـ (871 م) في أواخر العصر العباسي الأول.

□ المكانة العلمية والبيئة: ينتمي إلى بيت علم وفقه رائد في مصر؛ فوالده (عبد الله بن عبد الحكم) كان من كبار أصحاب الإمام مالك بن أنس ومن أئمة المذهب المالكي في مصر، وأخوته كانوا من كبار الفقهاء، مما أتاح له التلمذ على يد جهازة علماء عصره مثل الشافعي، والليث بن سعد (عبر تلاميذه)، والملقن الكبير عبد الله بن وهب.

□ اللقب والريادة التاريخية: يُلقب بـ "مؤرخ مصر وفتاح تدوينها التاريخي"؛ فهو أول من أفرد كتاباً مستقلاً وشاملاً ومحلياً يؤرخ لتمصير مصر وفتوح شمال إفريقيا والأندلس، واضعاً بذلك الحجر الأساس للمدرسة التاريخية المصرية المغربية.

□ **منهجه العلمي:** تتميز بجمعه بين علم الحديث وعلم التاريخ؛ حيث طبق معايير المحدثين في تدوين الأخبار والفتوحات، فكان لا يذكر حادثة تاريخية إلا ويسوق لها سنداً (رواة) يتصل بالصحابة أو التابعين أو أبناء الفاتحين الذين شهدوا الأحداث بأنفسهم. □

- **عصر التفكير في فتح المغرب:** تم البدء في التفكير الجدي والتوجه نحو فتح بلاد المغرب خلال عصر الخلفاء الراشدين، وتحديداً في عهد الخليفة الثاني **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، وذلك بعد أن أتم المسلمون فتح مصر عام 21 هـ (642 م). حيث أمّن القائد عمرو بن العاص الحدود الغربية لمصر بفتح برقة وطرابلس، وكتب للخليفة يستأذنه في التوسع غرباً، إلا أن عمر بن الخطاب فضّل التريث لحماية الجيوش الإسلامية من التوغل في مناطق مجهولة وواسعة.
- **بداية الخطوة الأولى لفتح المغرب:** بدأت الخطوات الفعلية والعملية لفتح المغرب في عهد الخليفة الراشدي الثالث **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، وتحديداً في عام 27 هـ (647 م). تمثلت هذه الخطوة الأولى في إرسال جيش قوي بقيادة **عبد الله بن سعد بن أبي السرح** (والي مصر الجديد آنذاك)، والذي تحرك نحو إفريقية (تونس الحالية) وانتصر على الحاكم البيزنطي "جرجير" في **معركة سببيلة الشهيرة**، مما فتح الباب أمام المراحل التالية لفتح بلاد المغرب كاملة.

مراحل فتح المغرب

شهد فتح بلاد المغرب أربع مراحل تاريخية رئيسية استغرقت قرابة 70 عاماً، حيث تميزت كل مرحلة بطبيعة عسكرية وسياسية خاصة، وانتقلت بالفتح من مجرد حملات استطلاعية إلى استقرار دائم.

إليك تفاصيل هذه المراحل الأربعة بالترتيب الزمني:

1. مرحلة الاستطلاع والاستكشاف (27 هـ - 50 هـ / 647 م - 670 م)

- **الهدف والسمة:** كانت مرحلة "كر وفر" واختبار لقوة البيزنطيين وقبائل البربر، ولم تستقر فيها جيوش المسلمين في المنطقة بل كانت تعود إلى مصر بعد انتهاء الحملات.
- **أبرز الأحداث:**
 - حملة **عبد الله بن سعد بن أبي السرح** عام 27 هـ وانتصاره في **معركة سببيلة الشهيرة** وقتل الحاكم البيزنطي "جرجير".

- حملة معاوية بن حديج عام 45 هـ الذي واصل الضغط العسكري على الحصون البيزنطية ومهد الطريق للمرحلة التالية.

2. مرحلة التثبيت والتأسيس (50 هـ - 64 هـ / 670 م - 683 م)

- الهدف والسمة: الانتقال من الحملات المؤقتة إلى الاستقرار الدائم عبر بناء ركائز للدولة الإسلامية في المنطقة.
- أبرز الأحداث:
 - قيادة عقبة بن نافع وبنائه لمدينة القيروان عام 50 هـ لتكون أول قاعدة عسكرية وثقافية للمسلمين.
 - انطلاق عقبة في حملته الكبرى الأولى حتى وصل إلى المحيط الأطلسي.
 - قيادة أبو المهاجر دينار الذي اتبع سياسة اللين والتحالف مع زعماء البربر (مثل كسيلة) ونجح في إدخال أعداد كبيرة منهم للإسلام.
 - نهاية هذه المرحلة باستشهاد عقبة بن نافع في معركة تهودة (63 هـ) على يد تحالف كسيلة والروم، مما أدى لارتداد المسلمين مؤقتاً إلى برقة.

3. مرحلة المدافعة والمواجهة الشاملة (64 هـ - 86 هـ / 683 م - 705 م)

- الهدف والسمة: مواجهة أشرس حركات المقاومة المحلية (البربرية والبيزنطية) واستعادة السيطرة الكاملة على إفريقية (تونس).
- أبرز الأحداث:
 - حملة زهير بن قيس البلوي الذي استعاد القيروان وقتل الزعيم "كسيلة" في معركة ممس، قبل أن يستشهد زهير في كمين بيزنطي ببرقة.
 - حملة حسان بن النعمان (الشيخ الأمين) المعين من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان؛ حيث نجح حسان في فتح قرطاجنة وتدمير النفوذ البيزنطي نهائياً.
 - مواجهة حسان ضد قبائل البربر بقيادة الملكة "ديهيا" (الكاهنة)، حيث هُزم في البداية عند وادي نيني، ثم عاد وانتصر عليها وقتلها في معركة طبرقة (82 هـ)، ليؤسس بعدها مدينة تونس ويوطد الحكم الإسلامي.

4. مرحلة الاستكمال والدمج (86 هـ - 95 هـ / 705 م - 714 م)

- الهدف والسمة: إتمام فتح ما تبقى من المغرب الأوسط والأقصى، والاعتماد التام على أهل البلاد الأصليين (البربر) كفاتحين وليس كشعوب مفتوحة.
- أبرز الأحداث:
 - تولية موسى بن نصير القيادة، حيث ركز على نشر الإسلام واللغة العربية وعامل البربر بعدالة ومساواة، فدخلوا في دين الله أفواجاً.
 - استكمال فتح المدن الكبرى والموانئ في المغرب الأقصى (مثل طنجة) باستثناء سبتة التي كانت تحت حكم "يوليان".

- تتويج هذه المرحلة بتحول البربر إلى عصب الجيش الإسلامي، وصدر الأمر للقائد البربري طارق بن زياد بالعبور وفتح الأندلس عام 92 هـ، ليتحول المغرب من أرض فتوحات إلى قاعدة لانطلاق الفتوحات نحو أوروبا.

أبرز القادة

- أبرز القادة العسكريين: تعاقب على قيادة حركة الفتح قادة عباقرة أداروا المعارك والتحالفات بحنكة، ومن أهمهم:
- عقبة بن نافع: صاحب فكرة بناء القيروان، والملقب بـ "فاتح إفريقيا"، والذي قاد الجيوش حتى وصل إلى المحيط الأطلسي.
- أبو المهاجر دينار: اعتمد سياسة اللين والتحالف مع زعماء البربر (الأمازيغ)، ونجح في جذب الكثير منهم إلى الإسلام، وفي مقدمتهم الزعيم "كسيلة".
- حسان بن النعمان: الملقب بـ "الشيخ الأمين"، وهو الذي قضى على النفوذ البيزنطي تماماً، وأسس مدينة تونس وجعلها قاعدة بحرية.
- موسى بن نصير: القائد الذي أتم فتح بلاد المغرب بالكامل، واعتمد على دمج البربر في الجيش الإسلامي كعنصر أساسي، مما مهد لفتح الأندلس.
-

أهم المعارك

- المعارك الحاسمة: خاض المسلمون معارك مصيرية ضد التحالف البيزنطي والبربري حددت مصير المنطقة، ومن أبرزها:
- معركة سببلة (27 هـ): مهدت الطريق للمسلمين بكسر الهيمنة البيزنطية الأولى وقتل حاكمهم "جرجير".
- معركة تهودة (63 هـ): معركة استشهد فيها القائد عقبة بن نافع بعد كمين نصبه له التحالف البيزنطي بقيادة كسيلة.
- معركة قرطاجنة (74 هـ): بقيادة حسان بن النعمان، حيث تم طرد البيزنطيين نهائياً من معقلهم الرئيسي في شمال إفريقيا.
- معركة وادي نيني (أو معركة نهر البلاء): واجه فيها حسان بن النعمان جيش القبائل البربرية بقيادة الملكة "ديهيا" (الملقبة بالكاهنة)، وهُزم فيها المسلمون مؤقتاً قبل أن يعود حسان وينتصر عليها في معركة طبرقة (82 هـ).

□

القواعد العسكرية

تأسيس القواعد العسكرية (قاعدة الانطلاق): شكل بناء مدينة القيروان عام 50 هـ (670 م) على يد القائد عقبة بن نافع الخطوة الاستراتيجية الأبرز للاستمرار في الفتوحات. كانت القيروان أول قاعدة عسكرية وبحرية ومركز ثقافي وإسلامي ثابت للمسلمين في إفريقيا، مما أنهى سياسة الحملات المؤقتة والانسحاب، وجعلها نقطة ارتكاز لتجميع الجيوش والتموين والانطلاق نحو المغرب الأوسط والأقصى.

سبب فتح المغرب

❑ أنشر الدين الإسلامي: كان الهدف الأساسي والأسمى لحركة الفتح هو تبليغ رسالة الإسلام ونشر تعاليمه في مناطق جديدة خارج الجزيرة العربية والشام، وإخراج سكان هذه المناطق (من البربر والقبائل المحلية) من الوثنية والمسيحية البيزنطية إلى الإسلام.

❑ حماية الحدود الغربية للدولة الإسلامية: بعد أن أتم المسلمون فتح مصر وبرقة، أصبحت الحدود الغربية للدولة الناشئة مهددة بشكل مستمر من قبل الروم البيزنطيين وحلفائهم في شمال إفريقيا؛ فكان لا بد من مواصلة التقدم غرباً لتأمين مصر ومنع أي هجوم مضاد قد ينطلق من بلاد المغرب.

❑ طرد النفوذ البيزنطي: كانت الإمبراطورية البيزنطية تبسط سيطرتها على السواحل الشمالية لإفريقيا وتتخذ منها مراكز عسكرية متقدمة، وكان هدف المسلمين إنهاء هذا الوجود الاستعماري الذي استنزف خيرات المنطقة واضطهد سكانها الأصليين لقرون.

❑ تأمين سواحل البحر الأبيض المتوسط: امتلاك بلاد المغرب يعني السيطرة على شواطئ استراتيجية ممتدة، ومجابهة الخطر البحري للأسطول البيزنطي الذي كان يهدد الشواطئ الإسلامية في مصر والشام والحجاز، وتحويل البحر المتوسط إلى منطقة آمنة تحت السيادة الإسلامية.

ستمر فتح بلاد المغرب قرابة 70 عاماً من الكر والفر والمعارك المتواصلة.

ويمكن حساب هذه المدة بدقة من خلال المحطتين الأبرز في تاريخ الفتح:

- البداية: بدأت الحملات الفعلية والأولى في عهد الخليفة عثمان بن عفان عام 27 هـ (647 م) معركة سببلة.
- النهاية: انتهى الفتح واستقر الحكم الإسلامي تماماً في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عام 95 هـ (714 م)، وذلك بعد أن أتم موسى بن نصير السيطرة على كامل المغرب الأقصى وتوجهت الأنظار نحو الأندلس.

لماذا استغرق الفتح كل هذا الوقت؟

يرجع طول هذه المدة (نحو 7 عقود) إلى عدة أسباب استراتيجية:

- الطبيعة الجغرافية الصعبة: تميزت بلاد المغرب بالجبال الوعرة (مثل جبال الأطلس) والصحاري الشاسعة التي جعلها الفاتحون في البداية.

- **المقاومة الشرسة:** واجه المسلمون قوتين كبيرين؛ الروم البيزنطيين المنظمين عسكرياً، وقبائل البربر (الأمازيغ) الاستشهادية والمستبسلة في الدفاع عن أرضها.
- **الاضطرابات الداخلية:** تأثرت حركة الفتوح أحياناً بالأحداث والفتن السياسية التي شهدتها عاصمة الخلافة الإسلامية في المشرق، مما أدى إلى توقف الحملات مؤقتاً في بعض الفترات.